كيف أكون كاتبا أديبا

إن جميع الكتاب والأدباء فى أسمى مكانة وأعظم منزلة لما اتصفوا به من كامل المروءة وسعة الأدب . فهم الذين عليهم يقوم الإصلاح ، وبهم تستقيم الأمور . وصناعة الأدب ليست مهمة المأخذ ولا سائغة المنال فيتغنيها فى أشد حالات العوز . وأضنى خلال القافة إلى معين جهد لا ينضب وغور كد لا يأتى عليه التتبع فأول ركن يعتمد عليه الرغبة فى التبرز والسباق . فيها يحطم قيود الملال . وبهتك ستر الكلال . ولا يرى فى الطعام ما يراه فى تغذية بكلام الأدباء ؛ تحدوه الرغبة وبدفعه الشوق إلى أن يحتفظ فى ذاكرته بأعظم ما يمكن من جمل ، حتى إذا شب وترعرع فى بحبوحة فضلهم طوحت به الرغبة إلى أن ينازعهم الشرف ويشاركهم السبق . ، وربما يزهم فى عملهم بما يتفق وعصره الظريف حين يفتح لنفسه خطة جديدة . يخالف فيها غيره من السلف والخلف وإذا ما استمر فى طريقه لم يلبث أن يصير علما فى الكتابة ومن يلم بتلك إلا النادر الذى استمرأ طريقها الوعر . واستعذب المشقة فى سبيل تحقيق غايته فيأخذ نفسه بالمثابرة والمسايرة . ومن عكف على استظهار الكثير من الألفاظ كألفاظ القرآن ودواوين الشعراء والكتاب انفحول ؛ عرف حينئذ يصوغ الدر النظيم . فالرغبة هى المهاد والاستظهار هو العتاد . فإذا سلك سبيل الغاية وحقق حلم الأمل . وجب أن يتبصر فيما هو مقدم عليه ومتأهب له . إذ ما سبق . ليس إلا وازعا للاحتراز من الخطأ والاعتصام من زلة الجهل . والتضلع بغريب الأسلوب فإن أسند سنده ، وأقوى عضده لإجادة هذه الصنعة تنمية الثروة اللفظية الفصيحة . واستدرار أرباح معانيها الصريحة والتغلب على شرح المطلوب على عدة وجوه

وكما لا يفوت الكاتب أن يستعيد إنشاءه مرارا حتى إذا وجد دخيلا أخرجه أو غريبا شذبه أو ركيكا حسنه ، إذ الإنشاء صريحة لا تحتاج إلى تأويل مزيد أو غريب أو تعقيد فى فهم معنى .

وإذا أخذ المرء نفسه بالمران والتدريب والتحسين والتهذيب ، ارتفع إلى أوج الكمال وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع إلى أن يكسوه ضروبا مختلفة من العبارات الطلية فتحمل ذاكرته من لقاح المعانى ما يولد معانيا غير تلك المعانى . فإذا صاغ فتن وإذا خلب أسر وإذا تفوه ملك القلوب . وانحدرت الدرر البديعة ، والألفاظ المسولة ، والمعانى الجميلة ، التى تمزق بين السامع والإعجاب كل ستر وحجاب ، فتملك عليه نفسه حتى لا يكاد يسمع ويبصر إلا ما جرى عليه صفحات قلب الكاتب وما خطه بنانه .

ط . مرعى

مدرس بالقليوبية